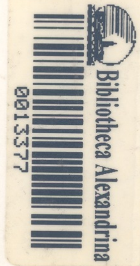
محمود درويش



العصافير تموت في الجليل

الطبعة الثامنة





دار العودة - بيروت

العصافير
تموت في الجليل

صمم الغلاف : الفنان نبيل قدوح

محمود درويش

العصافير تموت في الجليل

١٩٦٩

دار العودة - بيروت

١٩٩٣/١٠/١

الطبعة الثامنة

يطلب من دار العودة - بيروت

كورنيش المزرعة - بناية ريڤييرا سنتر

تلفون: ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / برقياً: العودة

لوحة على الجدار

.. ونقول الآن أشياء كثيرةْ

عن غروب الشمس في الأرض الصغيرةْ

وعلى الحائط تبكي هيروشيما..

ليلة تمضي، ولا نأخذ من عالمنا

غير شكل الموت

في عزِّ الظهيرةْ.

.. ولعينيكِ زمان آخر

ولجسمي قصة أُخرى

وفي الحلم نريد الياسمين،

عندما وزَّعنا العالمُ من قبل سنين

كانت الجدران تستعصي على الفهم

وكان الأسبرين

يُرجع الشبّاك والزيتون والحلم إلى أصحابه

كان الحنين

لعبة تلهيك عن فهم السنين.

.. ونقول الآن أشياء كثيرةْ

عن ذبول القمح في الأرض الصغيرةْ

وعلى الحائط تبكي هيروشيما

خنجراً يلمع كالحقِّ، ولا نأخذ عن عالمنا

غير لون الموت

في عزّ الظهيرةْ..

في اشتعال القُبلة الأولى

يذوب الحزن

والموت يغني

وأنا لا أحزن الآن

ولكني أُغني

أيُّ جسم لا يكون الآن صوتاً

أيُّ حزن

لا يضمّ الكرة الأرضية الآن

إلى صدر المغني ؟!

. . ونقول الآن أشياء كثيرهْ

عن عذاب العُشب في الأرض الصغيرهْ

وعلى الحائط تبكي هيروشيما،

قبلة تُنسى، ولا نأخذ من عالمنا

غير طعم الموت

في عزِّ الظهيرهْ . .

ألفُ نهر يركض الآن

وكلُّ الأقوياءْ

يلعبون النرد في المقهى،

ولحمُ الشهداءْ

يختفي في الطين أحياناً

وأحياناً يُسلّي الشعراءْ !

وأنا يا امرأتي أمتصُّ من صمتك

في الليل . . حليب الكبرياء !

.. ونقول الآن أشياء كثيرهْ

عن ضياع اللون في الأرض الصغيرهْ

وعلى الحائط تبكي هيروشيما

طفلة ماتت. ولا نأخذ من عالمنا

غير صوت الموت

في عزِّ الظهيرهْ..

قاع المدينة

عشرون أغنيةً عن الموت المفاجىء..

كلّ أغنيةٍ قبيلهْ

ونحب أسباب السقوط

على الشوارع..

كلّ نافذة خميلهْ.

والموتُ مكتملٌ،

ففي ملء الهزيمة يا مدينتنا النبيلهْ..

في كلٍّ موت كان موتي

حالةً أُخرى..

بديلاً كان للغة الهزيلهْ.

(والعائدون من الجنازة عانقوني

كسَّروا ضلعين
وانصرفوا
ومن عاداتهم أن يكذبوا
لكنَّني صدَّقتهم
وخرجتُ من جلدي
لأغرق في شوارعك القتيلهْ)

تتفجرين الآن برقوقاً
وأنفجر اعترافاً جارحاً بالحبّ :
لولا الموتُ
كنتِ حجارة سوداء
كنتِ يداً محنَّطة نحيلهْ
لا لون للجدران،
لولا قطرةُ الدم
لا ملامح للدروب المستطيلهْ

(والعائدون من الجنازة عانقوني
كسَّروا ضلعين . .
وانصرفوا . .

ومن عاداتهم أن يسأموا
لكنهم كانوا يريدون البقاء . .
خرجتُ من جلدي
وقابلتُ الطفولهْ) .

قد صار للإسمنت نبضٌ فيكِ
صار لكل قنطرة جديلهْ
شكراً ـ صليبَ مدينتي
شكراً . .
لقد علّمتنا لون القرنفل والبطولهْ
يا جسرنا الممتدّ من فرحِ الطفولةِ .
يا صليبُ ـ إلى الكهولهْ
الآن ،
نكتشفُ المدينة فيكَ
آهٍ . . . يا مدينتنا الجميلهْ ! . .

مطر ناعم في خريف بعيد

مَطَرٌ ناعمٌ في خريف بعيدْ

والعصافير زرقاءُ. . زرقاءُ

والأرضُ عيد.

لا تقولي أنا غيمة في المطارْ

فأنا لا أريدْ

من بلادي التي سقطتْ من زجاج القطار

غير منديل أُمي

وأسباب موت جديد.

مطر ناعم في خريف غريبْ

والشبابيك بيضاءُ. . بيضاءُ

والشمسُ بيّارة في المغيب

وأنا برتقالٌ سليب،
فلماذا تفرّين من جَسَدي
وأنا لا أُريد
من بلاد السكاكين والعندليب
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد.

مطر ناعم في خريف حزينْ
والمواعيد خضراءُ. . . خضراءُ
والشمسُ طين
لا تقولي رأيناك في مصرع الياسمين
كان وجهي مساء
وموتي جَنين.
وأنا لا أُريد
من بلادي التي نسيتْ لهجة الغائبين
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد

مطر ناعم في خريف بعيد

والعصافير زرقاءُ . . زرقاءُ

والأرضُ عيد.

والعصافير طارت إلى زمن لا يعود

وتريدين أن تعرفي وطني ؟

والذي بيننا ؟

ـ وطني لذَّة في القيودْ

ـ قُبلتي أرسلت في البريدْ

وأنا لا أُريد

من بلادي التي ذَبَحَتْنِي

غير منديل أُمي

وأسباب موت جديد . .

العصافير تموت في الجليل

ـ نلتقي بعد قليلْ
بعد عامٍ
بعد عامين
وجيلْ . .
ورَمَتْ في آلة التصوير
عشرين حديقهْ
وعصافيرَ الجليل .
ومضتْ تبحث، خلف البحر،
عن معنى جديد للحقيقهْ .
ـ وطني حبل غسيل
لمناديل الدم المسفوك
في كل دقيقهْ

وتمددتُ على الشاطىء
رملاً.. ونخيلْ.

هِيَ لا تعرف ـ
يا ريتا! وهبناكِ أنا والموتُ
سِرَّ الفرح الذابل في باب الجماركْ
وتجدَّدنا، أنا والموت،
في جبهتك الأولى
وفي شبّاك دارك.
وأنا والموت وجهان ـ
لماذا تهربين الآن من وجهي
لماذا تهربين ؟
ولماذا تهربين الآن ممّا
يجعل القمح رموشَ الأرض، ممّا
يجعل البركان وجهاً آخراً للياسمين ؟ . .
ولماذا تهربينْ ؟ . .

كان لا يتعبني في الليل إلّا صمتها
حين يمتدُّ أمام الباب

كالشارع . . كالحيِّ القديمْ

ليكن ما شئت ـ يا ريتا ـ

يكون الصمتُ فأساً

أو براويز نجوم

أو مناخاً لمخاض الشجرهْ .

إنني أرتشف القُبلَة

من حدِّ السكاكين ،

تعالي ننتمي للمجزرهْ ! . .

سقطتْ كالوَرَق الزائد

أسرابُ العصافير

بآبار الزمنْ . .

وأنا أنتشل الأجنحة الزرقاء

يا ريتا ،

أنا شاهدةُ القبر الذي يكبرُ

يا ريتا ،

أنا مَنْ تحفر الأغلالُ

في جلديَ

شكلاً للوطنْ . . .

آه ... عبد الله

قال عبدُ اللّه للجلّاد :
جسمي كلماتٌ ودويٌّ
ضاعَ فيه الرعدُ
والبرقُ على السكّين،
والوالي قويٌّ.
هكذا الدنيا. . .
وأنتَ الآن يا جلّادُ أقوى
وُلد اللّهُ. .
وكان الشرطيُّ !. .

عادةً، لا يخرجُ الموتى إلى النزهةِ
لكنَّ صديقي

كان مفتوناً بها .
كلَّ مساءْ
يتدلّى جسمه ، كالغصن، من كل الشقوق
وأنا أفتح شباكي
لكي يدخل عبد اللّه
كي يجمعني بالأنبياء ! . .

كان عبدُ اللّه حقلاً وظهيرهْ
يُحسن العزف على الموّالِ ،
والموالُ يمتدُّ إلى بغداد شرقاً
وإلى الشام شمالاً
وينادي في الجزيرهْ .
فاجأوهُ مرة يلثم في الموالِ
سيفاً خشبياً . . وضفيرهْ . .
حين قالوا : إنَّ هذا اللحن لُغمٌ
في الأساطير التي نعبدها ـ
قال عبدُ اللّه :
جسمي كلماتٌ . . ودويٌّ
هكذا الدنيا،

وأنت الآن يا جلّاد أقوى
وُلد اللّهُ
وكان الشرطيُّ . . .

عادةً، لا يعمل الموتى ،
ولكنَّ صديقي
كان من عادته أن يضع الأقمار
في الطينِ،
وأن يبذر في الأرض سَمَاءْ .
وأنا أفتح شباكي
لكي يدخل عبدُ اللّه حرّاً وطليقاً
كالردى والكبرياء . .

كان عبدُ اللّه حَقْلاً
لم يرثْ عن جدِّه إلاّ الظهيرهْ
وانكماشَ الظلِّ والسُمرةَ
عبدُ اللّه لا يعرف إلاّ
لغة الموّالِ ، والموّالُ مفتونٌ بليلى
أين ليلى ؟

لم يجدها في الظهيرةْ.
يركضُ الموَّال في أعقاب ليلى
يقفز الموَّال من دائرة الظل الصغيرةْ
ثم يمتدُّ إلى صنعاء شرقاً
وإلى حمص شمالاً
وينادي في الجزيرةْ :
أين ليلى ؟
كان عبدُ اللَّه يمتدُّ مع الموَّال
والموَّال ممنوعٌ .
يقول السيِّد الجلّاد :
إن البُعْد في الموَّال لغمٌ
في الأساطير التي نعبدها
. . وتدلّى رأس عبد اللَّه
في عزِّ الظهيرةْ .

آه، عبدَ اللَّه
والأمسيةُ الآن بلا موتى
وأنت الآن حلٌ للحلول
آه . . عبدَ اللَّه

والأسماءُ أجسادٌ

رموز

وفصول

آه.. عبدَ اللّه،

لا لون ولا شكل لأزهار الأفول

آه.. عبدَ اللّه،

لا أذكر بعد الآن ما كنتَ تقول

آه.. عبدَ اللّه،

لا تسمعك الأرض

ولا ليلى..

ولا ظلُّ النخيل.

وُلد اللّهُ

وكانت شرطةُ الوالي

ومليون قتيل!..

كتابة بالفحم المحترق

مدينتُنا. . . حوصرتْ في الظهيرهْ
مدينتُنا اكتشفتْ وجهها في الحصارْ.
لقد كذب اللونُ،
لا شأن لي يا أسيرهْ
بشمسٍ تُلمِّعُ أوسمة الفاتحين
وأحذية الراقصين.
ولا شأن لي يا شوارع إلاّ
بأرقام موتاكِ.
فاحترقي كالظهيرهْ. .

كأنكِ طالعةُ من كتاب المراثي.
ثقوبٌ من الضوء في وجهك الساحليّ

تُعيد جبيني إليَّ
وتملأني بالحماس القديم إلى أبويَّ.

. . . وما كنتُ أؤمنُ إلاّ
بما يجعل القلب مقهى وسوقْ.
ولكنني خارج من مسامير هذا الصليب
لأبحث عن مصدر آخر للبروق
وشكل جديد لوجه الحبيب.

رأيتُ الشوارع تقتل أسماءها
وترتيبها.
وأنتِ تظلّين في الشرفة النازلهْ
إلى القاع،
عينين من دون وجه
ولكنَّ صوتك يخترق اللوحة الذابلهْ.

مدينتُنا حوصرت في الظهيرهْ
مدينتُنا اكتشفت وجهها في الحصار.

ضباب على المرآة

نعرفُ الآن جميع الأمكنهْ
نقتفي آثار موتانا
ولا نسمعهم.
ونزيح الأزمنهْ
عن سرير الليلة الأولى، وآه...

في حصار الدم والشمسِ
يصير الانتظارْ
لغةً مهزومةً..
أمّي تناديني، ولا أبصرها تحت الغبار
ويموت الماءُ في الغيم، وآه...

كنتُ في المستقبل الضاحكِ

جنديّين،
صرتُ الآن في الماضي وحيد.
كلّ موتٍ فيه وجهي
معطفٌ فوق شهيد
وغطاءٌ للتوابيت، وآه...

لستُ جنديّاً
كما يُطلب مني،
فسلاحي كلمةْ
والتي تطلبها نفسي
أعارتْ نفسها للملحمةْ
والحروبُ انتشرت كالرمل والشمس، وآه..

بيتُكِ اليومَ له عشرُ نوافذْ
وأنا أبحثُ عن باب
ولا باب لبيتك
والرياح ازدحمتْ مثل الصداقات التي
تكثر في موسم موتك.
وأنا أبحث عن بابٍ، وآه...

لم أجد جسمك في القاموس
يا مَنْ تأخذينْ
صيغة الأحزان من طروادةَ الأولى
ولا تعترفين
بأغاني إرميا الثاني، وآه...

عندما ألقوا عليَّ القبض
كان الشهداءْ
يقرأون الوطن الضائع في أجسامهم
شمساً وماء
ويغنّون لجنديٍّ، وآه...

نعرف الآن جميع الكلمات
والشعارات التي نحملها:
شمسنا أقوى من الليل
وكل الشهداء
ينبتون اليوم تفاحاً، وأعلاماً، وماء
ويجيئون..
يجيئون..
يجيئون..
وآه...

ريتا ... احبيني

في كُلِّ أُمسية، نُخَبِّيءُ في أثينا
قمراً وأغنيةً. ونؤوي ياسمينا
قالت لنا الشرفات :
لا منديلُهُ يأتي
ولا أشواقه تأتي
ولا الطرقات تحترف الحنينا.
نامي ! هنا البوليس منتشرٌ
هنا البوليس، كالزيتون، منتشرٌ
طليقاً في أثينا

في الحلم، ينضمُّ الخيالُ إليكِ
تبتعدين عني.
وتخاصمين الأرض

تشتعلين كالشفق المغنّي

ويدايَ في الأغلال.

«سنتوري» بعيد مثل جسمك

في مواويل المغنّي . .

ريتا . . أحبّيني ! وموتي في أثينا

مثل عطر الياسمين

لتموت أشواق السجين . .

الحبُّ ممنوعُ . .

هنا الشرطيُّ والقدر العتيقْ .

تتكسَّر الأصنام إن أعلنتَ حبك

للعيون السود .

قطّاعُ الطريق

يتربصون بكل عاشقة

أثينا . . يا أثينا . . أين مولاتي ؟

ـ على السكّين ترقص

جسمها أرض قديمهْ

ولحزنها وجهان :

وجه يابس يرتدُّ للماضي

ووجه غاص في ليل الجريمهْ

والحبُّ ممنوع،
هنا الشرطيُّ، واليونان عاشقة يتيمهْ
في الحلم، ينضمُّ الخيال إليك،
يرتدُّ المغني
عن كل نافذةٍ. ويرتفع الأصيلْ
عن جسمك المحروق بالأغلالِ
والشهواتِ والزمنِ البخيل.
نامي على حلمي. مذاقُك لاذعٌ.
عيناكِ ضائعتان في صمتي
وجسمكِ حافل بالصيف والموت الجميل.
في آخر الدنيا أضمُّكِ
حين تبتعدين ملء المستحيل.
ريتا.. أحبّيني! وموتي في أثينا
مثل عطر الياسمين
لتموت أشواق السجين..

منفايَ: فلّاحون معتقلون في لُغة الكآبهْ
منفايَ: سجّانون منفيّون في صوتي..

وفي نغم الربابهْ
منفايَ: أعياد محنَّطة.. وشمس في الكتابهْ
منفايَ: عاشقة تعلِّق ثوب عاشقها
على ذيل السحابهْ
منفايَ: كل خرائط الدنيا
وخاتمة الكآبهْ

في الحلم، شفّافٌ ذراعكِ
تحته شمس عتيقهْ
لا لون للموتى، ولكني أراهم
مثل أشجار الحديقهْ
يتنازعون عليك،
ضمّيهم بأذرعة الأساطير التي وضعت حقيقهْ
لأبرِّر المنفى، وأسند جبهتي
وأتابع البحث الطويل
عن سرِّ أجدادي، وأوّل جُثةٍ
كسرتْ حدود المستحيل.
في الحلم شفّافٌ ذراعك
تحته شمس عتيقهْ

ونسيتُ نفسي في خطى الإيقاع
ثلثي قابع في السجن
والثلثان في عشب الحديقهْ
ريتا . . أحبّيني ! وموتي في أثينا
مثل عطر الياسمين
لتموت أشواق السجين . .

الحزن صار هوية اليونان ،
واليونانُ تبحثُ عن طفولتها
ولا تجد الطفولهْ
تنهار أعمدة الهياكل .
أجمل الفرسان ينتحرون .
والعشّاق يفترقون
في أوج الأنوثة والرجولهْ .
دعني وحزني أيها الشرطيّ ،
منتصف الطريق محطّتي ،
وحبيبتي أحلى قتيلهْ .
ماذا تقول ؟
تريد جثّتها ؟

لماذا ؟

كي تَقَدِّمَها لمائدة الخليفهْ ؟

من قال إنك سيدي ؟

من قال إن الحبَّ ممنوع ؟

وإنَّ الآلههْ

في البرلمانْ ؟

وإن رقصتنا العنيفهْ

خطرٌ على ساعات راحتك القليلهْ ؟!

الحزن صار هوية اليونان،

واليونانُ تبحثُ عن طفولتها

ولا تجد الطفولهْ.

حتى الكآبة صادرتها شرطةُ اليونان

حتى دمعة العين الكحيلهْ.

في الحلم، تتَّسعُ العيون السودُ

ترتجف السلاسلُ..

يستقيل الليلُ..

تنطلق القصيدهْ

بخيالها الأرضيّ،
يدفعها الخيال إلى الأمام.. إلى الأمام
بعُنف أجنحة العقيدهْ
وأراكِ تبتعدين عني
آه.. تقتربين مني
نحو آلهة جديدهْ.
ويدايَ في الأغلال، لكني
أُداعب دائماً أوتار سنتوري البعيدهْ
وأُثير جسمك..
تولد اليونان..
تنتشر الأغاني.
يسترجع الزيتون خضرته..
يمر البرق في وطني علانيةً
ويكتشف الطفولة عاشقانِ..
ريتا.. أحبّيني! وموتي في أثينا
مثل عطر الياسمين
لتموت أحزان السجين..

غريب في مدينة بعيدة

عندما كنتُ صغيراً

وجميلاً

كانت الوردة داري

والينابيع بحاري

صارت الوردةُ جرحاً

والينابيع ظمأ.

- هل تغيَّرتَ كثيراً ؟

- ما تغيَّرتُ كثيراً

عندما نرجع كالريح

إلى منزلنا

حدِّقي في جبهتي

تجدي الورد نخيلا

والينابيع عرق
تجديني مثلما كنتُ
صغيراً
وجميلا . .

على غلاف أسطوانة

يَنامُ المغنّي على أسطوانهْ

يخبىء أقماره في خزانهْ

وينسى زمانهْ

وينسى مكانهْ

ويحلم خارج أرض اللغات

وكان مغنّيكِ يحترف الابتسامْ

ويؤمن بالسيف

إن كان غمد السيوف عقيدهْ.

ويحتقر الحبّ،

إن كان مسألةً في قصيدهْ

وكان ربابة كل الخيامْ.

أراد مرايا جديدهْ

فلم يجد الصورة المقنعهْ

أراد ميادين واسعةً

فتاهتْ بها الزوبعهْ.

وحنَّ إلى قيده

كي يفرَّ من الظلِّ والقبّعهْ

دعيه يقل ما لديه.

من الصمت والتجربهْ

لقد صدئتْ شمسه المتعبهْ

ونام على أسطوانهْ

وخبأ أقماره في خزانهْ.

سقوط القمر

فِي البال أُغنيةٌ
يا أُخت،
عن بلدي،
نامي
لأكتبها. .

رأيتُ جسمكِ
محمولاً على الزردِ
وكان يرشح ألواناً
فقلتُ لهم :
جسمي هناك
فسدُّوا ساحة البلدِ

كنّا صغيرين،
والأشجار عاليةٌ
وكنتِ أجمل من أُمّي
ومن بلدي . . .

من أين جاؤوا ؟
وكرمُ اللوز سيًّجه
أهلي وأهلك
بالأشواك والكبدِ ! . .

إنّا نفكّر بالدنيا،
على عجلٍ ،
فلا نرى أحداً،
يبكي على أحدِ.

وكان جسمكِ مسبيّاً
وكان فمي
يلهو بقطرة شهْدٍ
فوق وحل يدي ! . . .

في البال أُغنيةٌ
يا أخت
عن بلدي،
نامي.. لأحفرها
وشماً على جسدي.

الصوت الضائع في الأصوات

نعرفُ القصة من أوَّلها

وصلاح الدين في سوق الشعارات،

وخالدْ

بيع في النادي المسائيِّ

بخلخال امرأهْ !

والذي يعرف.. يشقى.

ـ نحن أحجارُ التماثيل

وأخشاب المقاعد

والشفاه المطفأهْ ـ

أوقفي نبضكِ يا سيِّدتي !

. يصغر الميدان من طلعته . .

. أسكتوا . .

. باسمنا يستوقف الشمس على حدِّ الرماح

. صفِّقوا . .

. صفِّقوا

إن تطفئوا تصفيقكم

يرتطم المرّيخ بالأرض

ولا يبقى أحد . .

ـ نحن لا نسمع شيئاً

قد سمعنا ألف عامْ

وتنازلنا عن الأرصفة السمراء

كي نغرق في هذا الزحام .

ونريد الآن أن نرتاحَ

من مهنتنا الأولى ،

نريد الآن أن تصغوا لنا

فدعونا نتكلَّم .

نضع الليلةَ حدّاً للوصايهْ .

دمنا يرسم في خارطة الأرض الصريعهْ
كل أسماء الذين اكتشفوا
درب البدايهْ
كي يفرّوا من توابيت الفجيعهْ.
فدعونا نتكلم
ودعوا حنجرة الأموات فينا
تتكلّم..

المزمور الحادي والخمسون بعد المائة

أورْشليمُ ! التي ابتعدتْ عن شفاهي . . .
المسافات أقربْ .
بيننا شارعان، وظَهْرُ إلهِ
وأنا فيك كوكبْ
كائنٌ فيكِ . طوبى لجسمي المعذَّب ! .
يسقط البُعْدُ في ليل بابل
وانتمائي إلى خضرة الموت ـ حقّْ
وبكاء الشبابيك ـ حق .
صوتُ حريَّتي قادمٌ من صليل السلاسل
وصليبي يُقاتل ! .

أورْشليم ! التي عصرت كل أسمائها

في دمي . .
خدعتني اللغات التي خدعتني
لن أُسمّيكِ
إني أذوب، وإنَّ المسافات أقربْ
وإمامُ المغنّين صُكَّ سلاحاً ليقتلني
في زمان الحنين المعلّب،
والمزامير صارت حجارهْ
رجموني بها
وأعادوا اغتيالي
قرب بيّارة البرتقالِ . . .

أورشليم ! التي أخذتْ شكل زيتونةٍ
داميهْ . .
صار جلدي حذاء
للأساطير والأنبياء
بابلي أنت. طوبى لمن جاور الليلة الآتيهْ
وأنا فيكِ أقرب
من بكاء الشبابيك. طوبى
لإمام المغنّين في الليلة الماضيهْ

وإمامُ المغنّين كان. وجسمي كائن

وأنا فيك كوكب.

يسقط البُعْد في ليل بابل

وصليبي يقاتل..

هلّلويا

هلّلويا...

هلّلويا...

امرأة جميلة في سدوم

يأخذُ الموتُ على جسمكِ
شكلَ المغفرهْ،
وبودّي لو أموت
داخل اللذة يا تفاحتي
يا امرأتي المنكسرهْ . .
وبودّي لو أموت
خارجَ العالم . . في زوبعة مندثرهْ

(للتي أعشقها وجهان :
وجه خارج الكون
ووجه داخل سْدُوم العتيقهْ
وأنا بينهما

أبحث عن وجه الحقيقهْ)

صمتُ عينيك يناديني

إلى سكّين نشوهْ

وأنا في أوَّل العمر..

رأيتُ الصّمتَ

والموتَ الذي يشرب قهوهْ

وعرفتُ الداءَ

والميناءَ

لكنكِ.. حلوَهْ!..

.. وأنا أنتشر الآن على جسمك

كالقمح، كأسباب بقائي ورحيلي

وأنا أعرف أن الأرض أُمي

وعلى جسمك تمضي شهوتي بعد قليلِ

وأنا أعرف أنَّ الحب شيء

والذي يجمعنا، الليلة، شيء

وكلانا كافر بالمستحيلِ.

وكلانا يشتهي جسماً بعيدا

وكلانا يقتل الآخر خلف النافذهْ !

(التي يطلبها جسمي
جميلهْ
كالتقاء الحلم باليقظة
كالشمس التي تمضي إلى البحرِ
بزيٍّ البرتقالهْ . .
والتي يطلبها جسمي
جميلهْ
كالتقاء اليوم بالأمس
وكالشمس التي يأتي إليها البحرُ
من تحت الغلالهْ)

لم نقل شيئاً عن الحبِّ
الذي يزداد موتاً
لم نقل شيئاً
ولكنّا نموت الآن
موسيقى وصمتاً
ولماذا ؟

وكلانا ذابلٌ كالذكريات الآن

لا يسأل : من أنتِ ؟

ومن أين : أتيتِ ؟

وكلانا كان في حطّين

والأيامُ تعتاد على أن تجد الأحياء

موتى . .

أين أزهاري ؟

أُريد الآن أن يمتلىء البيتُ زنابقْ

أين أشعاري ؟

أريد الآن موسيقى السكاكين التي تقتل

كي يولد عاشق

وأُريد الآن أن أنساكِ

كي يبتعد الموت قليلاً

فاحذري الموت الذي

لا يشبه الموت الذي

فاجأ أُمّي . .

(التي يطلبها جسمي
لها وجهان :
وجه خارج الكون
ووجه داخل سْدُوم العتيقهْ
وأنا بينهما
أبحث عن وجه الحقيقهْ) .

قراءة في وجه حبيبتي

.. وحين أُحدِّق فيك
أرى مُدناً ضائعةْ
أرى زمناً قرمزياً
أرى سبب الموت والكبرياء
أرى لغة لم تسجّل
وآلهة تترجل
أمام المفاجأة الرائعةْ.

.. وتنتشرين أمامي
صفوفاً من الكائنات التي لا تُسمى
وما وطني غير هذي العيون التي
تجعل الأرضَ جسما..

وأسهر فيك على خنجر
واقفٍ في جبين الطفولهْ
هو الموت مفتتح الليلة الحلوة القادمهْ
وأنتِ جميلهْ
كعصفورة نادمهْ. . .

. . وحين أحدِّقُ فيكِ
أرى كربلاء
ويوتوبيا
والطفولهْ
وأقرأ لائحة الأنبياء
وسفر الرضا والرذيلهْ. .
أرى الأرض تلعب
فوق رمال السماءْ
أرى سبباً لاختطاف المساءْ
من البحر
والشرفات البخيلهْ ! . .

المطر الأول

في رذاذ المطر الناعم

كانت شفتاها

وردةً تنمو على جلدي،

وكانت مقلتاها

أُفقاً يمتدّ من أمسي

إلى مستقبلي..

كانت الحلوة لي

كانت الحلوة تعويضاً عن القبر

الذي ضمّ إلها

وأنا جئتُ إليها

من وميض المنجلِ

والأهازيجِ التي تطلع من لحم أبي

ناراً.. وآها..

(كان لي في المطر الأوّلِ

يا ذات العيون السود

بستان ودار

كان لي معطف صوف

وبذار

كان لي في بابك الضائع

ليل ونهار..)

سألتْني عن مواعيد كتبناها

على دفتر طينْ

عن مناخ البلد النائي

وجسر النازحين

وعن الأرض التي تحملها

في حَبَّة تين،

سألتني عن مرايا انكسرتْ

قبل سنين..

عندما ودّعتها

في مدخل الميناء

كانت شفتاها

قبلةً

تحفر في جلدي صليب الياسمين. . .

لا جدران للزنزانة

كعادتها،
أنقذتني من الموت زنزانتي
ومن صدأ الفكر، والاحتيال
على فكرة منهكهْ.
وجدتُ على سقفها وجه حريّتي
وبيّارة البرتقال
وأسماءَ مَنْ فقدوا أمس أسماءهم
على تربة المعركهْ

سأعترف الآن،
ما أجمل الاعترافْ
فلا تحزني أنت يوم الأحد

وقولي لأهل البلد :
سنرجىء حفل الزفافْ
إلى مطلع السنة القادمهْ

تفرّ العصافير من قبضتي
ويبتعد النجم عنّي . . والياسمين
وتنقص أعداد من يرقصون
ويذبل صوتك قبل الأوان
ولكنّ زنزانتي
كعادتها،
أنقذتني من الموت
زنزانتي . .
وجدت على سقفها وجه حريّتي
فشعّ جبينك فوق الجدار . .

الدانوب ليس أنبق

هي لا تعرفه.

كان الزمانْ

واقفاً كالنهر في جثّته

قالت له :

عندي مكان.

كان ذاك اليومُ صيفيّاً

وكان العاشقان

يستردان من الرُّزنامة الأولى

حساب الشمس،

كان الأمس

والحاضر كان. .

هي لا تعرفه.

قالوا لها : يأتي مع النهر

الذي يأتي مع الفجر

وكان التوأمان

ضفتي نهر. . يسيران معاً

أو يقفان

وهما. . لا يعرفان !. .

كان ذاك اليوم حقلاً

من ذبول وحنان.

وهما يقتربان

ويموتان من الموت

ولا يلتقيان. .

هي لا تعرفه

لكنها تشربه كالماء في رمل الزمان.

بعد عامين من الهجرةِ

في الهجرةِ

ماتا

في انفجار القُبلة الأولى

وفي جُثّته، كان الزمان

واقفاً كالنهر في جُثّته

قالت له :

عندي مكان. . .

ويسدل الستار

عندما ينطفىء التصفيقُ في القاعةِ
والظلُّ يميلْ
نحو صدري . .
يسقط المكياج عن وجه الجليل
ولهذا . . أستقيل ! . .

أجدُ الليلة نفسي
عارياً
كالمذبحةْ
كان تمثيلي بعيداً عن مواويل أبي
كان تمثيلي غريباً عن عصافير الجليل
وذراعي مروحةْ

ولهذا أستقيل.

لقّنوني كل ما يطلبه المخرج
من رقص على إيقاع أكذوبته
وتعبتُ الآن،
علّقتُ أساطيري على حبلِ غسيل
ولهذا.. أستقيل.

باسمكم، أعترف الآن بأن المسرحيةْ
كُتبتْ للتسليةْ
رضي النقّادُ لكنَّ عيون المجدليَّةْ
حَفَرَتْ في جَسَدي
شكل الجليل
ولهذا.. أستقيل.

يا دمي..
فرشاتُهم ترسم لوحات عن اللدِّ،
وأنت الحبرُ،
ما يافا سوى جلد طبول

وعظامي كالعصا في قبضة المخرج
لكني أقول :
أتقن الدور غداً يا سيدي
ولهذا . . أستقيل .

سيداتي . .
آنساتي . .
سادتي !
سلَّيتكم عشرين عامْ
آن لي أن أرحل اليوم
وأن أهرب من هذا الزحامْ
وأغنّي في الجليل
للعصافير التي تسكن عشَّ المستحيل
ولهذا . . أستقيل
أستقيل
أستقيل . .

العصافير تموت في الجليل
١٩٦٩

صمم الغلاف : الفنان نبيل قدوح